التفسير والتأويل في تفسير ابن عرفة لسورة الأنعام

أ. م. د. منهل يحيى اسماعيل *
علي فاروق ذنون يحيى

ملخص البحث

فإن العلوم الإسلامية كثيرة عدّاً ، واسعة مجداً ، رفيعة نعتاً ، وإنّ من أشرف العلوم النظر في كتاب الله تأملاً وتفكراً وفهماً ألا وهو علم التفسير الذي أفنى في تدوينه زهرة سنين المفسرين الأفاضل جزاهم الله عنّا خير الجزاء ، ومن هؤلاء الأفاضل العلامة ابن عرفة الذين عرض له في هذا البحث بعضاً من آرائه في تفسير آية أو بعض آيةٍ من سورة الأنعام التي لا تقل عن مطولات السور أعجازاً ولكنها نزلت دفعة واحدة كما أكد ذلك السلف . ولما كان التفسير والتأويل من أهتم به العلماء قديماً وحديثاً فإننا نجد أن العلامة ابن عرفة قد صب جهده العلمي في تفسير القرآن الكريم عن طريق التحاور بينه وبين طلابه ومريديه ، فهم يسألون عن معنى الآية أو الآيات وهو يقوم بتفسيرها أو تأويلها معتمداً على رؤيته هو أو على ما قاله بعض المفسرين موافقاً لهم أو راداً عليهم

Abstract

The Islamic sciences are numerous in number, vast in glory, and lofty in character, and one of the noblest of sciences is to consider the Book of God for contemplation, contemplation and understanding, and it is the science of interpretation that perished in its codification the flower of the years of distinguished commentators, may God reward them on our behalf, and among those distinguished is the scholar Ibn Arafa who was presented to him In this research, some of his views on the interpretation of a verse or some verse from Surat Al-An'am, which is no less than the lengthy surahs miraculously, but was revealed all at once as confirmed by the predecessor.

* جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية .

Since exegesis and interpretation are what scholars have been interested in, ancient and modern, we find that the scholar Ibn Arafa has poured his scientific effort into the interpretation of the Noble Qur'an through dialogue between him and his students and disciples. What some of the commentators said in agreement with them or in response to them.

المقدمة

الحمد لله الأجل الأوحد والصلاة والسلام على نبيه المبعوث رحمة للعالمين الأعز الأمجد :

أما بعد :

فإن العلوم الإسلامية كثيرة عدّاً ، واسعة مجداً ، رفيعة نعتاً ، وإنّ من أشرف العلوم النظر في كتاب الله تأملاً وتفكراً وفهماً ألا وهو علم التفسير الذي أفنى في تدوينه زهرة سنين المفسرين الأفاضل جزاهم الله عنّا خير الجزاء ، ومن هؤلاء الأفاضل العلامة ابن عرفة الذي نعرض له في هذا البحث بعضاً من آرائه في تفسير آية أو بعض آيةٍ من سورة الأنعام التي لا تقل عن مطولات السور أعجازاً ولكنها نزلت دفعة واحدة كما أكد ذلك السلف . ولما كان التفسير والتأويل من أهتم به العلماء قديماً وحديثاً فإننا نجد أن العلامة ابن عرفة قد صب جهده العلمي في تفسير القرآن الكريم عن طريق التحاور بينه وبين طلابه ومريديه ، فهم يسألون عن معنى الآية أو الآيات وهو يقوم بتفسيرها أو تأويلها معتمداً على رؤيته هو أو على ما قاله بعض المفسرين موافقاً لهم أو راداً عليهم ما استخلصوه من معنى بحيث أصبح تفسيره لبنة أخرى في بناء التفسير الشامخ . وقد استعان على ذلك بعلوم الآلة في الفقه والمنطق كما استعان بمجمل العلوم التي تساعد في فهم النص القرآني والتي أطلق عليها بعلوم القرآن .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون محتواه قائماً على مبحثين هما :

المبحث الأول : اختيارات ابن عرفة في التفسير ، وقد تم استقراء جميع اختيارات ابن عرفة (رحمه الله) في التفسير التي ذكرها في معرض تفسيره لسورة الأنعام .

المبحث الثاني : اختيارات أبن عرفة في التأويل ، وتضمن هذا المبحث اختيارات ابن عرفة (رحمه الله) في التأويل في سورة الأنعام ، والناظر لهذه الاختيارات يجدها لا تخرج عن دائرة التأويل المحمود الذي حث الله تبارك وتعالى عباده عن تدبر كتابه واستخراج حكمه ومواعظه بقوله سبحانه وتعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : الآية ٨٢]

المبحث الأول: اختيارات ابن عرفة في علم التفسير:

يُعَد علم التفسير من أقدم العلوم التي انتجتها العلوم الإسلامية، ولعله المدخل الأكثر تأثيراً ، ومنذ أن سئل الرسول(ﷺ)عن بعض ما أنزل في القرآن الكريم، مروراً بما افتى به بعض الصحابة من معاني القرآن ولاسيما ترجمانه سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما وصولاً إلى عصر التدوين الذي بدأ التأليف فيه في التفسير وفي غير التفسير، وصولاً إلى مدارس التفسير المختلفة وتعارضها ، ورد بعضها على بعض وإلى الآن يفسر المفسرون ويستنبطون من هذا البحر الزاخر معاني ومعاني، وكلّما قرأت تفسير آية لمفسر كبير قلت هذا هو المعنى ، الذي عثر عليه هذا، فإذا قرأت و قرأت قلت ما شاء الله إن الأمر له بداية وليس له نهاية

●التفسير لغة : " فسّر الشيء : وضّحهُ[١]، فسّرَ الشيء : وضحه ، وفسّر آيات القرآن الكريم ، شرحها و وضح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرار وأحكام " فالتفسير في اللغة ، (الفسر) البيان ، فسر الشيء يفسر بالكسر ويفسره بالضم وفسره أبانه والتفسير مثله ... الفسر كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل . فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف ، وأصله في اللغة من التفسيرة ، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء ، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض ، فكذلك المفسر ، يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها ، والسبب الذي أنزلت فيه "[٢] .

●التفسير اصطلاحاً : " التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد(ﷺ)، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول

الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ [٣] يقول الزركشي :" هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصا ، والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها [٤].

وقال الراغب (ت ٥٠٢هـ) في مفرداته: "والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل"[٥]. وكأنه فصل بين "تفسير" معنى المفردة ، و "تأويل" معنى الآية والمعروف أن معنى الآية ليس مجموع معاني الفاظها، إنما هو اشتباك هذه المفردات في سياق ما لِينتجَ لنا "معنى" مرادا أو قريب من المراد.

ويتوسع الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) قليلاً حيث يقول: "التفسير: الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ اسهل وأيسر من لفظ الأصل، والتفسير اصطلاحاً :علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التركيبية [٦]". تم نقل عن الكفوي: "التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره"[٧].

ويتوسع "الأحمد نكري" قليلاً، فيقول: "هو الكشف والإظهار فيراد به كشف لا شبهة فيه وهو القطع بالمراد ولهذا يحرم التفسير بالرأي. وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة"[٨].

ولعل معنى قوله :"ولهذا يحرم التفسير بالرأي" أي ان ذلك من التأويل وليس التفسير على ما سيأتي إن شاء الله في مبحث التأويل. ويبسط السيد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري تفسير القرآن وعدّه ثلاثة أقسام:

الأول: علم ما لم يطلع الله تعالى عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه.

الثاني: ما اطلع سبحانه وتعالى نبيه عليه من اسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه إلا له عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن له. قيل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الأول.

الثالث: علوم علمها الله تعالى نبيّه مما اودع كتابه من المعاني الجليّة والخفية وأمره بتعليمها. وهذا ينقسم إلى قسمين:

منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع. ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان:

١. قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات.

٢. قسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والأعرابية لأن مبناها على الأقيسة[٩].

أما عن التفسير بالرأي، فقد قال القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧هـ):

"التفسير بالرأي الذي نهى عنه وفيه خمسة أنواع:

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً .

الرابع: التفسير بأن مراد الله سبحانه وتعالى كذا على القطع من غير دليل .

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى"[١٠].

ويمكن أن يقال أن النوع الثاني الذي ذكره من التفسير بالرأي وهو تفسير المتشابه أي أن الذين يقفون عند قوله تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[سورة آل عمران : الآية٧] يمكن أن يحتجوا بأن للراسخين في العلم ان يتحدثوا عن المتشابه.

أما النوع الثالث فهو الذي يجري فيه المفسر معاني القرآن الكريم الى مذهبه قسرا فهذا ما يحرمه الدين ويأباه البحث العلمي الرصين. فالنص لا ينجر الى المذهب إلا إذا تعطل العقل وانقاد الإنسان للهوى.

أما الرابع فهو القطع بأن مراد الله سبحانه وتعالى كذا من غير دليل، فقد قال العلماء:

والدعاوي إن لم تقيموا عليها بّينات أصحابها أدعياء

أما الخامس فالنص المقدس لا يمكن أن يكون عرضة لاستحسان هذا وعدم رضا ذلك، ولا يمكن أن يكون تابعا للهوى. وقد ضلّ من اتّبع هواه.

ولكن على أية حال فإن التفسير بالرأي مدرسة لمع فيها مفسرون كبار أمثال الرازي الذي يقول حين تأمل سورة الفاتحة: "اعلم انه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فأستبعد هذا بعض الحسّاد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول"[١١].

نحن نعلم أن الكثير منا الآن قاصر عن فهم فضلاً عن تصديق ما قاله الرازي، ولكن رجالاً سخرهم الله لخدمة كتابه الكريم يفعلون ذلك.على ان التفسير بالمأثور الذي بدأه الإمام الطبري وأخذ به السيوطي مثلا في "الدر المنثور" يبقى أنقى وأتقن.

ويلخص الذهبي معنى التفسير بقوله: "ان التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول[١٢]". وتفسير الكتاب العزيز يقودنا إلى حقيقة العبادة " لا يخفى أن مدار العبادات إنما هو على المأثور في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الإخلاص في القلب وصحة التوجه إلى الله تعالى"[١٣].

وعن أنواع التفسير يقول الدكتور السيد احمد خليل: " إن من المسلمين من يقول بالظاهر والباطن والحد والمطلع"[١٤] ، ويقول الدكتور توفيق الطويل :" إنّ من أصول الإسلام ، النظر العقلي لتحصيل الإيمان ، وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض "[١٥]، مع التحفظ الشديد من تقديم العقل في كل مسائل الشرع. وهذا هو "تفسير" الآية حقا، فقومه أفضل من أولئك لما ذكر من توحيده تعالى عند الشدائد وشدة الضيق، وقومه لا يخطر ببالهم أن لديهم أولياء أنداد بل يتوجهون إليه تعالى مباشرة ولكن ماذا فعل ابن عرفة؟

يلتفت ابن عرفة التفاتة بارعة في تفسير قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) [سورة الأنعام: الآية ٤٢] . يفهم من الآية أن الله قد أرسل قبله الرسل إلى أمم غارقين في الشرك ولم ينفع معهم الدعوة إلى الإيمان فكانوا فاسدي الفطرة ، فاسدي العقل ، لا نظر لهم في ملكوت الله وما يحيطهم ،

أقول رغم ذلك فإن أبن عرفة لم يتعرض لكل ذلك الذي تعرض له المفسرون، بل انتبه إلى ملمح إنساني اختاره في الآية، فقال: "وهذا تسلية للنبي (ﷺ)"، وتسلية لكل مؤمن من خلال خطاب النبي، تسلية أن لا يكن في قلبك ضيق مما يحد منهم، فهم- على أية حال- أحسن حالا ممن أرسلنا إلى من قبلك.

وفي الآية:(لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)، قال: "أي أخذناهم أخذ متراخياً معه الناظر لحالهم تضرعهم"[١٦].

والتراخي الذي اختاره ابن عرفة قاده اليه قوله تعالى (لَعَلَّهُمْ) التي وضعت في اللغة للترجي.

وتقود مفردة (نبأ) الواردة في قوله تعالى:(لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [سورة الأنعام:الآية ٦٧] تقود المفردة ابن عرفة إلى أن يقول: "أي لكل نبأ ثبوت وخير صدق ووقوع إشارة إلى أن جميع ما خوفهم وتوعدهم بوقوعه بهم في المستقبل فإنه يقع لا محالة، وكل خبر صدق فهو واقع لا محالة، والمراد لكل نبأ عن المستقبل، وأما الماضي فمعلوم"[١٧].

والذي قاد ابن عرفة- كما قلنا- إلى هذا الاختبار قوله تعالى: ﴿نَبَإٍ﴾ لأن معنى النبأ: "خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر، وخير الله تعالى، وخير النبي عليه الصلاة والسلام[١٨]"

وفي الكليات: "كل نبأ في القرآن فهو الخبر إلا ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ﴾ [القصص: ٦٦] فإن المراد الحجج. والنبأ والأنباء لم يردا في القرآن إلا لما له وقع وشأن عظيم[١٩]" فلهذا المعنى في "النبأ" فسر ابن عرفة الآية.

ولكن يمكن أن يقال أن ابن عرفة نظر إلى كلمة "نبأ" في سياقها في الآية حيث دلت على المستقبل من الأنباء، ولكن النبأ في حقيقته خبر صادق أكثر ما يستعمل في خبر من مضى وما مضى ولكن اختيار ابن عرفة كان متصلاً بالسياق مع الآية الكريمة.

فعلى غير عادة ابن عرفة في مجمل تفسيره، ينظر إلى الآية الخمسين بعد المائة ليفسرها جميعها، قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام :الآية ١٥٠] ، عادة ابن عرفة أن يفسر مقطعا من آية في عموم سورة الأنعام ولكنه في هذه الآية فسرها كلها.

قال ابن عرفة: "أقل الجمع هنا اثباتاً لآية جاءت تعجيز لهم، وتعجيزهم بأن يطلب منهم الإتيان بشاهدين يعجزون عنهما أبلغ مما طلب منهم الإتيان بأكثر من الشاهدين فعجزوا عن ذلك"(٢٠).

قيل له: إنما جمع الشهداء لتعدد أنواع المحرمات فلهم على كل محرم شاهدان، فقال:" قد قال الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): فإن قلت: لم اضاف الشهداء اليهم، ولم يقل شهداؤه بالأطلاق؟ ، فأجاب بأن المراد شهداؤكم المتعصبون لكم الذين هم من جهتكم". فرده ابن عرفة بأنه لا يلزم من عجزهم عن الشهداء المتعصبين لهم عجزهم عن الشهداء بالاطلاق(٢١).

وقيل له: يلزم ذلك من باب أحري، فقال: إنما عادتهم يحيون بأن المراد شهدائكم الذين تنفعكم شهادتهم بخلاف ما لو قال: هم شهداء بالإطلاق، فإن حرص الإنسان على طلب الشهادة لمن تنفعه شهادته أقوى من حرصه على شهادته لمن لا تنفعه شهادته، من قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾، فقال: إما المراد الإتيان بلفظ خير يفيد ذلك المعنى، قال: والآية دلت على تعجيزهم بالدليل العقلي وبالدليل السمعي وإما بالشهادة أو بالخير كلاهما كما في قوله تعالى:﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٨] راجع للدليل العقلي.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ راجع للدليل السمعي على قسمين: منه ما يستند للشهادة، ومنه ما يستند بخبر الواحد.

قال: قلت: " لم قال﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ فهلا قيل: فإن شهدوا فلا تقبل شهادتهم، لأنه نفي الشهادة معهم لا يستلزم نفي قبولها والجواب في عدم قبول الشهادة لأحد أمرين: أما لفسق الشاهد،

وإما لضنة أو تهمة كشهادة الولد لأبيه أو أخيه.﴿ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ ﴾ أفاد عدم قبولها، لان تعديل الحاكم الشاهد شهادة معه بدليل قوله﴿ مَعَهُمۡۚ ﴾ ولم يقل: فلا تشهد بالإطلاق"[٢٢].

قلت : هذا تفسير دقيق ومتكامل للآية الكريمة من ابن عرفة، على أن ما نسبه ابن عرفة للزمخشري كان نقلا بالمعنى عند تحقيق الفرق بين الفاظ ابن عرفة المنسوبة للزمخشري وبين ألفاظ الزمخشري الأصلية التي وردت في تفسيره. وعلى أي حال فقد جوّد ابن عرفة في تحقيق التفسير الواضح البين للآية والحق لم أجد من قام بهذه الدقة في تفسيرها لا ممن سبقوه ولا ممن جاءوا بعده. فقد يكون غيره من المفسرين أفاض في غير ما اختار ابن عرفة ولكن اختياره له وحده.

يقف ابن عرفة عند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٥١] ، فكأنه يتساءل لماذا جاءت نهاية الآية بـ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ؟ فيقول: "لما كانت مفسدة هذه الأمور ضرورية مدركة بالبديهة يدركها كل أحد لاتخفى عليه، قال: ولعلكم تعقلون بخلاف مفسدة ما بعدها، فإنها خفية لا تدرك إلا بعد تأمل ونظر"[٢٣].

أقول :إن الأشياء المدركة، التي يدركها كل أحد، حق على الله سبحانه أن يلفت العقل اليها، فإذا كانت ملبوسة[٢٤] عليهم فهنا لا ينفع حتى العقل.

وذهب الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ : "أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المحرمة"[٢٥].

وحين ينتقل ابن عرفة الى الآية التي بعدها ليقف عند قوله تعالى:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٥٢] يختار ملحظا قد يخفى على الكثير، فيقول: " بمبالغة [أي في هذا التعبير القرآني مبالغة] ولم ينه عن قرب القتل فالجواب من وجهين:

الأول: إن القتل له صائن، لأن كل أحد يصون نفسه منه ومال اليتيم لا صائن له.

الثاني: أن القتل لا منفعة فيه للقاتل، بل هو مجرد مفسدة تنشأ عن عدم خوف، واخذ مال اليتيم مفسدة ينشأ عنها منفعة لأخذه في أكله والتلذذ به، فبولغ النهي عنه بلفظ القرب"[٢٦] .

وحين قال سبحانه:﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٥١]اختار ابن عرفة التفاوت في بلاغة الآية، فقال: "هذا أبلغ من أن لو نهوا عن عصيان الوالدين، لأنه يقبل عدم العقوق وزيادة الأمر بالإحسان إليهم"(٢٧).

وحين قال تعالى في الآية نفسها﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ تساءل ابن عرفة قائلاً: "ما أفاد قوله تعالى: (بالقسط)؟ قلنا: فائدته لو لم يذكر للزم عليه أن لايخرج من العهدة إلا بالزيادة الكثيرة على الواجب، فلما قال: (بالقسط) أفاد أن أول جزء زائد يخرجه عن عهدة الوفاء بالعدد الواجب، لأن ما لا يتوصل الواجب إلا به فهو واجب... فإن قلت: عبر في الكيل بالمصدر دون لفظ الآلة التي يقع بها الكيل، وعبر في الوزن بإسم الآلة دون مصدر، هلا قيل فأوفوا المكيال والميزان؟ أو يقال: أوفوا الكيل والوزن بالقسط؟ فما لسر في ذلك؟ فعادتهم يجيبون بوجهين:

الأول: أنه من حذف التقابل، أي وأوفوا الكيل والميزان بالقسط.

والثاني: أن الخبث يقع في الكيل باعتبار الوجود الخارجي أكثر من الخبث في الوزن، والخبث في الميزان باعتبار الوجود الخارجي أكثر من المكيال، فالخبث أكثر وجوداً يقع في الكيل لا في المكيال وفي الميزان لا في الوزن"(٢٨).

قلت : اختيار منظم من تفكير منظم من ابن عرفة في هذا الفرق الدقيق بين ذكر المصدر أو ذكر الآلة، ولماذا ذكرت هنا ولم تذكر هناك.

قال الرازي: "فإن قيل: إيفاء الكيل والميزان، هو عين القسط، فما الفائدة في هذا التكرير؟

قلنا: أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة"(٢٩).

لماذا جاء الحديث عن الكتاب المبارك الذي نزل على محمدﷺ في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[سورة الأنعام : الآية ١٥٥] ، قال ابن عرفة: " لما تضمن الكلام السابق تفضيل بني اسرائيل بإرسال موسى اليهم، وتفضيل موسى بالكتاب المنزل عليه، عقبه ببيان

تفضيل هذه الأمة بإرسال محمد ﷺ اليهم وأنزل القرآن عليه، وظاهر كلام المفسرين أن الإشارة إلى جميع القرآن وليست الآية من آخر ما نزل"(٣٠).

قلت : بنو إسرائيل فُضّلِوا بموسى، وموسى فُضِّلَ بالتوراة ولكن أمة محمدﷺ فضلت بمحمدٍ ﷺ وأعظم به رسولاً، وفضل صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن، وأعظم به كتاباً جامعاً مهيمناً على كل ما سبقه من كتب.

أما أن الآية تدل على كامل القرآن، أو على ما نزل إلى نزول الآية كما اختار ابن عرفة فليس في ذلك كبير فرق ولو يمكن أن يقال أن الآية وإن لم تكن آخر ما نزل، إلا أنها أشارت إلى القرآن، وكل القرآن، فُضِّل به محمد ﷺ. يقوى ذلك ويؤكده قوله تعالى بعد ذلك مباشرة التي يقول عنها ابن عرفة: "يحتمل أن يرجع (اتبعوه) الى امتثال أوامره، و(اتقوا) الى اجتناب مناهيه ويحتمل أن يكون الأمر بالإتباع عاما في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، (واتقوا) راجعة الى التحرز من عقاب الله عند عدم امتثال أمره ونهيه(٣١).

والملاحظ انه على كلا الرأيين اللذين اختارهما ابن عرفة فإن المعنى واحد: الاتباع والاتقاء (التقوى) وحول تنكير الكتاب قال في تفسير المنار: "فتنكيره للتعظيم"(٣٢).

وحول قوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا ﴾[قال: "أي فاتبعوا ما هداكم اليه واتقوا وانهاكم عنه وحذركم إياه"(٣٣).

وفي الآية التي تليها قال سبحانه و تعالى﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾. قال ابن عرفة " أي: أنزلنا القرآن عليكم لئلا تقولوا: أنزلنا الكتاب على موسى ولم ينزل علينا، ولا قرأه علينا أحد من الطائفة المنزل عليهم بحيث نسمعه، والكتاب هنا واحد بالنوع فيتناول هنا اليهود والنصارى"(٣٤).

قلت : علّل ابن عرفة إنزال القرآن لقطع الطريق على هؤلاء الممترين اللدد الذين يجادلون بغير علم فربما اعترضوا ان اليهود والنصارى أنزل عليهم الكتاب، وهم يسمون أصحاب الكتاب. ونحن لم ينزل علينا شيء. وأخرى أنّ هؤلاء اليهود والنصارى لم يقرأه أحد علينا.

فكيف نؤمن؟ فقال لهم القرآن الكريم فهذا هو القرآن، كتاب محكم مفصل.

وعبر البيضاوي (ت ١٢٨٢هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿ تَتُولُوا ﴾ قال: "كراهة أن تقولوا علة لأنزلنا"(٣٥).

ولعل الحصر في (إنما) لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم.

وفسر ابن عرفة ، قوله تعالى:﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾[سورة الأنعام : الآية ١٦٠]، قوله :" هذا على سبيل الفرض والتقدير لئلا يلزم عليه التسلسل"(٣٦) قال البيضاوي: "وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، ولذلك قيل: المراد بالعشرة الكثرة دون العدد"(٣٧).

وحين فسر قوله تعالى: من الآية نفسها: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾[قال: ولئلا يتوهم أن جزاء السيئة عشرة أمثالها"(٣٨).

قلت : هذا التقسيم الدقيق والفهم المتنوّر من أخذ اختيارات ابن عرفة، واكتفى البيضاوي بأن قال: "قضية للعدل"(٣٩).

وختم تفسير الآية في تفسير نهايتها حيث يقول تعالى:﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[سورة الأنعام : الآية ١٦٠] فقال: "أما بالنسبة الى السيئة فظاهر، وأما بالنسبة الى الحسنة فجعل كأن الجزاء عليها بعشرة أمثالها واجب أوجبه الله تعالى على نفسه تفضلاً، وكأنه واجب بالأصالة، فالنقص منه ظلم فلذلك ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾"(٤٠).

ولعل الذي اختاره ابن عرفة توضيحا رائعا لقول الرازي: "أي لا ينقص من ثواب طاعاتهم، ولا يزاد على عقاب سيئاتهم"(٤١).

ما هي أولية المسلمين في قوله تعالى:﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٦٣]؟ يجيب ابن عرفة في اختياره: "الأولية إما حقيقة، وإما باعتبار الشرف، قيل له: إبراهيم هو الأول، فقال الإسلام راجع للأحكام التكليفية، وشريعة نبينا محمدﷺ مخالفة لشريعة إبراهيم صلى الله على نبينا محمد وعليه وعلى آلهما وسلم.

قيل له : قد قال ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [سورة النحل : الآية ١٢٠] ، فقال " إسلامه غير إسلام نبينا ﷺ ، وشرعه مخالف لشرعه "(٤٢) .

كان اختيار ابن عرفة يرتكز على أن " الإسلام " يختلف شرعاً وتكليفاً بين سيدنا إبراهيم وسيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليهما وآلهما وسلم.

على أن الزمخشري فسر الأمر بقوله: "لأن إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته"(٤٣). فمعنى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي أني أول من أسلم من أمتي.

وحقق الرازي المعنى بقوله: "أي المستسلمين لقضاء الله وقدره، ومعلوم أنه ليس أولا لكل مسلم، فيجب أن يكون المراد كونه أولا لمسلمي زمانه"(٤٤).

قلت : ولعل الرازي يكون قد أعطى معنيين للإسلام:

الأول: الاستسلام

الثاني: كونه مسلما أي تابعا لشريعة وأحكام الإسلام.

وعلى التفسير الثاني يتفق الرازي مع ما قاله الزمخشري.

ما المقصود بـ "الخلائف"؟ وما المقصود "برفع البعض فوق البعض درجات"؟

ورد التعبيران في قوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٦٥] ، أما عن تفسير﴿خَلَائِفَ﴾ فقد اختار ابن عرفة أن معنى ﴿خَلَائِفَ﴾ :"يخلف بعضكم بعضا"(٤٥).

يقول الطبرسي (ت ٥٤٨هـ):" معناه أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن، يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر "(٤٦).

فاختيار ابن عرفة : أن كل الناس يخلف بعضهم بعضا، واختار الطبرسي : أن أهل كل قرن(٤٧) يخلفون من قبلهم.

وقال محمد رشيد رضا: "والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف احدا كان قبله في مكان او عمل أو ملك، وفي الخطاب وجهان:

الوجه الأول: انه للبشر جملة والمعنى انه تعالى جعلهم خلفاءه في الأرض بالتبع لأبيهم آدم...

الوجه الثاني: أن الخطاب للأمة المحمدية وانه جعلهم خلفاء لمن سبقهم من الأمم في الملك واستعمام الأرض، وهذا هو الراجح المختار"(٤٨).

والوجه الأول يتفق مع ما اختاره ابن عرفة ، والوجه الثاني يدل على أن هذا القرآن العظيم يتحمل المعاني الكثيرة التي تصب أخيرا في المعنى الكبير المراد أما عن رفع البعض فوق البعض، فيختار ابن عرفة: "بعضكم فوق بعض" في العلم ودونه في الدين، والآخر فوقه من الدين ودونه من المال إذا لم يكن أخذ في شيء(٤٩).

ولو نظرنا نظرة متأنية الى الحياة لوجدنا أن أي أحد هو فوق الآخر بشيء ما ولكن الناس لا يفطنون أكثر ما يفطنون إلا إلى المال والجاه والغنى.

هذه بعض نماذج من اختيارات ابن عرفة في تفسير الآيات أو أجزاء الآيات بشكل مباشر. وأما تكامل اختباراته في مجمل التفسير وأما اختياراته في مجمل التفسير فسيرِد تفصيل ذلك ضمن المبحث الثاني .

المبحث الثاني : اختيارات ابن عرفة في التأويل :

بعد أن ذكرنا في المبحث الأول التفسير لغةً واصطلاحاً ، وأخذنا بعض النماذج التي رأينا أن لابن عرفة اختياراً متفرداً فيها .

سنذكر في هذا المبحث معنى التأويل لغةً واصطلاحاً مع دراسة بعض النماذج التي كان لابن عرفة اختيار في تأويلاتها .

- التأويل لغةً : أوّل الكلام : فسره ورده إلى الغاية المرجوة منه ، أصله في اللغة من الأَوْل ، ومعنى قولهم : ما تأويل هذا الكلام ؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد ؟" (٥٠) ، ورد في المعجم الوسيط : " أوّل " الشيء إليه : أرجعه ، يقال في الدعاء لمن فقد شيئاً : " أول الله عليك ضالتك ، وفي الدعاء

عليه : لا أوّل الله عليك شملك . وأوّل الكلام : فسّره وأوّله ردَّه إلى الغاية المرجوة منه وأوّل الرؤيا : عبرها " [٥١] .

وورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم : تأويلاً : تفسيراً ، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ سورة النساء: الآية ٥٩] وقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٥] ، تأويل الأحاديث : تفسيرها ، وتبيين ما يؤول الأمر منها ومنه قوله تعالى: ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ [سورة يوسف : الآية ٦] ، وقوله تعالى :﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ [سورة يوسف:الآية٢١] ، وقوله تعالى:﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾[سورة يوسف : الآية٤٤] ، وقوله تعالى:﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي ﴾[سورة يوسف: الآية١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [سورة يوسف:الآية١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف : الآية٧٨] ، وقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ [سورة الكهف : الآية٨٢] [٥٢].

●أما التأويل اصطلاحاً :" فهو صرف الآية إلى ما تحتمله من معنى" [٥٣]، وهو عند الراغب " رد الشيء إلى الغاية المرادة منه ، علماً كان أو فعلاً"[٥٤]. وعن قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: الآية٣٥]، قال الراغب" قيل أحسن معنى وترجمة ، وقيل أحسن ثواباً في الآخرة "[٥٥]، وعند أبي البقاء الكفوي :" بيان أحد محتملات اللفظ" [٥٦] .

ومن جميل ما يمكن أن يضرب لمن يشتغل بالتأويل ممن لم يفقه اللغة فضلاً عن لغة القرآن وفد نجران حين قدم على النبي ﷺ ، فقد تأوّلَ بعضهم أنّ : "إنا" و"نحن" على أنّ الآلهة ثلاثة لأنّ هذا ضمير جمع ، وهذا تأويل في الإيمان بالله[٥٧] .

هذا ما تأوله النفر من وفد نجران الذين لا قبل لهم بلغة القرآن .

قال الراغب (ت ٥٠٢هـ) :((" نحن" عبارة عن المتكلم إذا أخبر عن نفسه مع غيره ، وما ورد في القرآن من إخبار الله تعالى عن نفسه ... فقد قيل : هو إخبار عن نفسه وحده لكن يخرج ذلك مخرج

الإخبار الملوكي ، وقال بعض العلماء : إنّ الله تعالى يذكر مثل هذه الألفاظ إذا كان الفعل المذكور بعده يفعله بواسطة بعض ملائكته أو بعض أوليائه ، فيكون " نحن " عبارة عنه تعالى عنه وعنهم "))[٥٨] .

أما التهانوي (ت ١١٥٧هـ) فيقول :" (التأويل) : هو مشتق من الأوْل وهو لغة الرجوع ، وأما عند الأصوليين ، فقيل : هو مرادف التفسير ، وقيل : هو الظن بالمراد والتفسير القطع به فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمى مؤولاً ، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسراً ، وقيل : هو أخص من التفسير "[٥٩] .

وفضلاً عن معنى التأويل عند أصناف العلماء ، فقد يشار إلى مسألة مهمة وثيقة الصلة بالتأويل هي المتشابه الذي أدعى قوم أن الله لا يمكن أن ينزل في القرآن الكريم ما لا يفهم معناه .

فالمتكلم وهو الله تعالى أعلم العالمين لا يتكلم إلا بما يُفهم معناه ، أما المعادلة الأخرى التي هي :

– نفي المعنى عند المتكلم ، وهذا محض هراء .

– نفي الفهم عند المخاطب ، وهذا ممكن جداً لا سيما عند من لم يتعود فتح مغاليق النصوص .

أما الإدعاء بأن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، فهذا كالحروف المقطعة في أوائل الصور وموعد قيام الساعة والمغيبات الخمس في آواخر سورة لقمان التي لا يعلمها حقاً إلا الله . ولنعلم أن غيابها عنا مع ثبوت وجودها كما أخبر بذلك سبحانه رحمة بنا[٦٠] .

ولكن أين من يتأمل القرآن ليرى كيف يفسر بعضه بعضاً ثم يرتا على لفته وهي في المقام العلوي المعجز ! فإذا انتقلنا إلى المحدثين فنجد الذهبي يقول : التأويل عند السلف له معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ...

ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان الكلام طلباً ، كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبراً ، كان تأويله نفس الشيء المخبر به "[٦١].

أما عند المتأخرين فيقول الذهبي :" هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فإذا قال أحد منهم

هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا ، قال الآخر : هذا نوع تأويل ، والتأويل يحتاج إلى دليل ، وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين :

الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وأدعى أنه المراد .

الثاني : أن يبين الدليل الذي أوجب صرف عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح ، وإلا كان تأويلاً فاسداً أو تلاعب بالنصوص "[٦٢].

وعلى الجملة فـ" يعتقد أهل السنة أن الله خاطبنا بما نفهم ، وأراد منا الاعتقاد بظاهر النصوص "[٦٣] ولكن ماذا يصنع المتأولون إذا كانت بعض النصوص من المتشابه الذي يمكن لأهل العلم أن يخوضوا فيه أو كان من المجاز الذي لا بد من استنطاق القرائن والأدلة ليصار إلى المعنى المطلوب فالتأويل عنصر من عناصر اللغة ، إذا وافق الشرع وجاء الدليل أنه مظنون أنه المراد فذاك . وإذا جر المؤول النص إلى مبتغاه فذاك الزيغ الذي حذر الله منه .

وهذه بعض النماذج من اختيارات ابن عرفة في التأويل .

أوّل ابن عرفة قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾[سورة الأنعام:الآية٣٦].

إذ قال:" هذا التأويل يحتمل وجهين :

أحدهما : أن المراد الذين يسمعون السماع النافع .

ثانيهما : أن يريد نفي السماع عنهم من أصل إشارة إلى أنهم لما لم ينفعهم السماع صاروا كأنهم لا يسمعون شيئاً " [٦٤] .

والذي قاد ابن عرفة إلى اختيار هذا التأويل ذي الوجهين ، أن قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ، فعلى تأويل ابن عرفة الذين يسمعون السماع النافع فهؤلاء هم المستجيبون حقاً. والسماع أي وعي ما يسمعونه من آيات القرآن الكريم . أو ما يتأملونه من آيات الكون التي لا تحد ، أو ما أودع الله من آيات في أنفسهم .

الوجه الثاني الذي اختاره ابن عرفة في تأويل السماع نفي السماع عنهم ، فهؤلاء المخاطبون لا يسمعون ، أي لا يحصل عندهم تأمل ووعي لما يتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم ، فكأنما لم

يسمعوها ، فكأن قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[سورة الأنعام : الآية ٢٥]، وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٤٦] ، وقوله تعالى:﴿ وإنا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [سورة الكهف : الآية ٥٧] .

أقول : كأن قوله تعالى هذا ينطبق عليهم فمنهم يسمعون ومنهم من لا يسمعون .

فجماعة المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به " [٦٥] .

والموتى " ((أي الكفار[٦٦] " أي وموتى القلوب الذين لا يسمعون هذا السماع يخرجهم الله تعالى من قبورهم ويرسلهم إلى موقف الحساب)) "[٦٧] .

وعند الإمام الطبري :"﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾، يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً ، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولاً ، إذا كانوا لا يتدبرون حجج الله ، ولا يعتبرون آياته ، ولا يتذكرون فينزجرون عماهم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم "[٦٨].

ومن التأويل ذات المعاني المتعددة التي اختارها ابن عرفة قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٦٣] .

قال ابن عرفة :" هذا من الكلام الذي لا يسمع سامعه إلا الواقعة ، والآية محتملة لثلاثةِ معانٍ :

الأول : أن تكون مشتملة على وعظ مشعر بأن الله هو المستحق للعبادة فحقكم ألا تشركوا به أحداً .

الثاني : أن يكون فيها التذكير بنعمته رفع المؤلم وغلب الملائم بما قبلها تخويف بأنه هو القاهر الضار .

والتذكير بذلك على قسمين :

١. تذكير باتصافه بذلك الإطلاق .

٢. وتذكير باتصافه بذلك فيما يرجع إلى نفس المذكر . كذلك قولهم : إن زيداً شجاع فاضل عندي وأنقذك عن المهالك ، فالتذكير يعد أقوى من الأول " [٦٩] .

أمّا المعنى الثالث : فلم يذكره ابن عرفة ، واكتفى بهذين التأويلين في معنى الآية .

وقال أبو حيان في البحر المحيط معلقاً على " الظلمات " : " وأكثر المفسرين على أن الظلمات مجاز عن شدائد البر والبحر "[٧٠] .

وقوله " مجاز" هو المدخل الأوسع للتأويل ، فالمتشابه وما يلحقه من المجاز هو المقود الذي يؤدي إلى التأويل .

في تأويله لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٦٦] ، قال ابن عرفة :" أي : كذبوا بما خوفهم من أنواع الهلاك ثم أتى بالفاعل ظاهراً ، فإن قلت : هلا قال : وكذبوا به ؟ قال ابن عرفة : فعادتهم يجيبون بأنه إشارة إلى أنهم مخالطون لك عالمون بما جئت عليه من الصدق والأمانة ، ومع هذا فهم يكذّبون لك "[٧١].

يفرق ابن عرفة في تأويله بين الإتيان بالفاعل الظاهر ، وبين الإتيان به ضميراً حين يفني الضمير عن الظاهر لكنه يؤول أن مجيء الظاهر إشارة إلى مخالطتهم للرسول ﷺ ، فهم عالمون بصدقه ، وهم مع ذلك ، كذبوا به ! .

وحين أوّل قوله تعالى في أخر الآية: ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ قال ابن عرفة :" إما ان المراد لست برافع عنكم ما نزل بكم من العذاب ، أو لست مطالباً بمخالفتكم ومعاندتكم"[٧٢].

يؤول ابن عرفة للآية معنيين :

١. لست أنا المسؤول عن رفع العذاب الذي نزل بكم لأن هذا ليس من شأني .

٢. لست مطالباً بمخالفتكم ومعاندتكم لأني جئت بالحق وأنتم تمارون وتكذبون .

وذكر الطبرسي لقوله تعالى: ﴿ لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ، ثلاثة معانٍ" لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله.. لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها..لم أؤمر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان "[٧٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخوضونَ في آياتِنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِهِ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [سورة الأنعام : الآية ٦٨] ، اختار ابن عرفة تأويلات عندما تحدث عن أجزاء من الآية الكريمة .

فقوله تعالى:﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخوضونَ في آياتنا ﴾ ، أوّلَ ابن عرفة (رأيت) بقوله :" إنما قال : رأيت يصدق على كل من كان بعيداً منهم بحيث لا يسمع كلامهم لكنهم علموا بالقرائن الحالية أنهم يخوضون في آيات الله تعالى ، واشتملت الآية على مطلبين :

الأول : رؤيتهم .

الثاني : الجلوس معهم في قوله تعالى﴿ فلا تقعدوا مَعهم﴾ [سورة النساء : الآية ١٤٠] ، والخطاب خاص بالنبي ﷺ ، وعام فيه وفي كل مؤمن هذا في اللفظ ، وأما في المعنى وهو [الصحيح فهو] عام في الجميع "[٧٤] .

خلاصة تأويل ابن عرفة أن "رأيت" من سمع أو من لم يسمع الكلام ، واستبعدت الآية الجلوس معهم حال رؤيتهم .

وحين انتقل إلى قوله تعالى: ﴿ يخوضون في آياتنا ﴾ ، بيّنَ أنّ أوّلَ الخوض كما يلي :" الخوض في الآيات إما البحث فيها بالنظر والاستدلال ، وإما الخوض فيها بالأمر الباطن وهو المراد هنا "[٧٥].

ولا أدري كيف أوّلَ ابن عرفة معنيين للخوض هما البحث فيها بالنظر والاستدلال ، والخوض فيها بالأمر الباطن ، والصحيح أن الخوض: "أكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يُذم الشروع فيه"[٧٦]، واستشهد الراغب في الآية المتقدمة ، والذي أوّلَه ابن عرفة ليس الخوض ، إنما كلامه يصدق على التأمل والتفكر في آيات الله .

وأوّلَ الإعراض عنهم في قوله تعالى ﴿ فاعرض عنهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيرِهِ ﴾ فقال :" إن قلت : الإعراض عنهم مرتقع بأحد أمرين :

إما بخوضهم في حديث آخر . وإما بسكوتهم . فلم خصصه بالأول دون الثاني ؟ فأجيب بوجهين :

أحدهما : أن الإجماع مظنة لعدم السكوت ، فعلّل بما هو الأكثر الإيجاب .

ثانيهما : أن السكوت لا يؤمن منه الرجوع إلى الحديث الأول الذي كانوا فيه بخلاف ما إذا خرجوا إلى حديث آخر ، فإن ذلك قاطع على الرجوع إلى الأول "[٧٧].

وتأويل ابن عرفة في ارتفاع الإعراض عنهم مما يحسب لنظره الثاقب .

وحين أوّل قوله تعالى من الآية نفسها ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ قال :"إما ان تكون هذه تذكير ووعظ للمؤمنين في عدم الجلوس معهم ، أو تذكير ووعظ للكافرين"[٧٨].

أن تكون تذكيراً ووعظاً للمؤمنين كما أختار وأوّل ابن عرفة فهذا ملائم للفظ الآية ومعناها ، أما أن تكون وعظاً للكافرين كما أوّل أيضاً فعلى تقدير إنكم أيها الكافرون لن يقعد معكم مؤمن وأنتم على ما انتم عليه .

قال الرازي :" قوله تعالى: ﴿ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ يفيد أن التكليف ساقط عن الناس قال الجبائي : إذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط التكليف . فعدم القدرة على الشيء أولى بأن يوجب سقوط التكليف . وهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق لا يقع "[٧٩].

يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى:﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٦] ، وفي صحيح مسلم في الحديث القدسي لما نزلت قوله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٦] قال:" قد فعلت ... الحديث "[٨٠] .

وأوّل ابن عرفة ﴿ بغيرِ علمٍ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٠٠] ، بقوله :" إن قلت : ما أفاد قوله﴿ بغيرِ علمٍ ﴾ مع أن هذا ليس من قبيل المعلوم ، لأنه محال ؟ فالجواب بوجهين :

الأول : أن هذا مما لا يصح فيه إلا بعلم وليس هذا من الأمر الذي يتكلم فيه بالظن والحدس.

الثاني : التنبيه على أن ليس لهم في ذلك شبهة ولا مستند بل هو مجرد افتراء وجهالة"[٨١].

ويؤوَل ابن عرفة قوله تعالى من الآية نفسها فيقول:" قالوا: فإن قوله تعالى نفي القابلية،و﴿ سبحانه ﴾ لنفي الواقع الموجود، و﴿وتعالى ﴾ لنفي القابلية كقولك ، : حاش لزيد أن يفعل القبائح " [٨٢].
فسبحان :" أي أنه منزه عن أن يفعل ذلك " [٨٣].
وتعالى :" تسامى عن أن يصدر منه ما يشين حاشاه " [٨٤].

وأوَّلّ قوله تعالى :﴿ عمّا يَصِفون ﴾ في نهاية الآية بقوله :" أتى فيه بلفظ المضارع مع أن ذلك ماضٍ قد وقع ، الجواب : أن فيه تسلية للنبي ﷺ وإعلام بأنهم ندموا على ذلك فلا يتأسف على كفرهم ، فإن الله تعالى منزه عن ذلك لا يضره شيء من فعلهم "[٨٥] .
فتأويل ابن عرفة أن سبب مجيء المضارع دون الماضي تسلية لنبيه ﷺ وإعلامه بندمهم على ذلك .
قال الخازن(ت ٣٤٩هـ) :" ﴿ عمّا يَصِفون ﴾ أي عما يصفونه من كذب "[٨٦] .
إن استخدام المضارع يوحي أن فعل كل كافر الكذب إلى يوم الدين ، فالخطاب مستمر إلى يوم الدين لكل كافر معاند ولذلك جاء المضارع والله أجل وأعلم .
وفي تأويله لقوله تعالى :﴿ ديناً قيماً ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٦١] قال ابن عرفة:" يحتمل وجهين :
أحدهما : أنه قائم دائم إلى قيام الساعة لا ينسخه شيء من الأديان .
ثانيها : أن برهانه دائم والأدلة الدالة على حقيقته قائمة ، يوصف بوصف دليله ويجعل قائماً"[٨٧].
قال ابن كثير:"﴿ ديناً قيماً ﴾ أي قائماً أبداً "[٨٨] ، وقال الرازي فيما نسبه إلى الزمخشري:" القيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم"[٨٩]. ثم عاد الرازي ليقول: "والتأويل ديناً ذا قيم"[٩٠].

وأوَّلّ ابن عرفة قوله تعالى :﴿ قل أغيرِ اللهِ أبغي ربّاً﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٦٤] وإذ قال :" الغيران أعم من المخالفين ، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص "[٩١] . أي أنه لما نفى الغيريّة ، وهي الأعم كان نفي المخالفيّة من باب أولى وتحصيل حاصل لأنها أخص .

وحين أوّل قوله تعالى من الآية نفسها ﴿ وهو رب كل شيء﴾ قال :" يؤخذ من ظاهر الآية مرجوحية إطلاق لفظ أبغي على الله تعالى ، ومرجوحية إطلاق لفظ الرب على غير الله تعالى ولا يقال : رب الجنان ، ولا رب الدار ، وقيل : الأولى ملك الجنان ومالك الدار .

قيل له: قد قال ربك :﴿ قال ارجع إلى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ [سورة يوسف : الآية ٥٠] ، وقال النبي ﷺ " تعس رب الدرهم والدينار "[٩٢]، وهذا دليل على الجواز ، فقال : إنما قلنا الأولى عدمه "[٩٣].

أي ان ابن عرفة لا ينفي اطلاق لفظ الرب على غير الله سبحانه وتعالى ، ولكنه يرى أن الأولى أن لا يطلق .

قال الألوسي :" (وهو) سبحانه (رب كل شيء) جملة حالية مؤكدة للإنكار ، أي والحال أن كل ما سواه مربوب فكيف يتصور أن يكون شريكاً له "[٩٤]

الخاتمة

فيما يأتي أوجز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج :

١. متابعتي ومتابعة الطلبة في الدراسات العليا بإكمال دراسة هذا التفسير في سوره الأخرى ليعم النفع وتكتمل صورة العلامة ابن عرفة تفسيراً وتأويلاً .

٢. إن التأمل الذي استنبطه أبن عرفة في بعض الآيات ما كانت في ذهن أحد قبله فيجب الوقوف عند مثيلاتها في مجمل تفسيره .

٣. نظام السؤالات والجوابات التي بنى عليها ابن عرفة يمكن أن تكون حافزاً لدراسة مثل هذا النوع من البحوث .

٤. الإهتمام بعلوم الفقه وعموم علوم الآلة لفهم كتاب الله العزيز .

٥. إن العقيدة وأصولها دعامة كبرى لدارسي علم التفسير فأوصي نفسي وأخواني بالاعتناء بها .

٦. إن نظام الحوار هو من أجمل ما يقود إلى المعرفة الحقة وهو تقنية اسلوبية عالية الطراز.

٧. إيراد الإمام ابن عرفة لأداء من سبقه وقبولها أو الرد عليها مما يثري وبعمق البحث التفسيري.

٨. الاعتماد على علوم الآلة وعلوم القرآن قنديلان مضيئان للوصول إلى الفهم الصحيح للنص المقدس .

٩. عدم تدخل الإنسان في النص المقدس إلا بما يتحمله النص نفسه أي أننا نذهب إلى النص نستنطقه ولا ندخل إلى النص لننطق عنه حاشاه .

هوامش البحث

(١) لسان العرب ، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الافريقي المصري " ت ٧١١ هـ " ، ط٣ ، دار صادر بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٢ م : ٦ / ٣٦١ ، وفيه :" (الفسر) البيان ، فسر الشيء يفسر بالكسر ويفسره بالضم وفسره أبانه والتفسير مثله ... الفسر كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ، المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) ، قام بأخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، وأشرف على طبعه ، عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية ، طهران : ٢ / ٦٩٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، الأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفصل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ،: ٢ / ١٤٧ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١ / ١٣، وينظر: المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) ، قام بأخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، وأشرف على طبعه ، عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية ، طهران . : ٢ / ٦٩٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ١٤٨ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م: ٦٣٦.

(٦) الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، ت ١٠٩٤هـ .، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، ط٢ ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان : ٢١٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢١٦.

(٨) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، عرّب

عباراته الفارسية حسن هاني فحص ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م : ١ / ٢٢٤ .

(٩) أبجد العلوم ، السيد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري ، توفي سنة ١٣٠٧هـ – ١٨٨٩م ، وضع حواشيه وفهارسه أحمد شمس الدين ، طبعة جديدة محققة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .: ٢/ ١٥٧ .

(١٠) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، ٥٤٤– ٦٠٤ ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م : ١ / ١١ .

(١١) التفسير الكبير، الرازي: ١/ ١١.

(١٢) التفسير والمفسرون ،، *د. محمد حسين الذهبي .ط ٢*، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٩٦ هـ : ١/ ١٣.

(١٣) اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، جمال الدين القاسمي الدمشقي ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤١هـ .:١٣ .

(١٤) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الدكتور السيد أحمد خليل ، ط١ ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م ، الوكالة الشرفية للثقافة بالإسكندرية : ٥

(١٥) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، الدكتور توفيق الطويل ، ط٢ ، ١٩٥٨م ، مكتبة مصر:١٤٠ .

(١٦)تفسير ابن عرفة ، تحقيق : جلال الاسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١: ٢/ ١٥٥.

(١٧) المصدر نفسه: ٢/ ١٦٥.

(١٨)مفردات الفاظ القرآن ، الراغب: ٧٨٨– ٧٨٩.

(١٩) الكليات ، الكفوي: ٧٤٧.

(٢٠) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٩٨.

(٢١) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٩٨، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وهو تفسير القرآن الكريم: الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، توفي سنة ٥٣٨هـ ، وبذيله كتابان جليلان : الأول : كتاب الانتصاف : الأمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي قاضي الأسكندرية ،توفي سنة ٦٨٣هـ، الثاني : حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي الشافعي ، ط١ ، سنة ١٣٥٤هـ ، مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية الكبرى : ٢/ ٤٧.

(٢٢) تفسير ابن عرفة: ٢/ ١٩٨– ١٩٩.

[٢٣] المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٠.

[٢٤] " اللبس الخلط، أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ".النهر الماد من البحر، أبو حيان، موجود في هامش التفسير الكبير(البحر المحيط) المعرف سابقاً : ٤ / ٧٩.

[٢٥] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، توفي سنة ١٢٧٠هـ ، المجلد الثالث ، ج٧ –٨ ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة ، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت: ٨/ ٥٥.

[٢٦] تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠١.

[٢٧] المصدر نفسه: ٢/ ١٩٩.

[٢٨] المصدر نفسه: ٢/ ٢٠١.

[٢٩]تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، ٥٤٤– ٦٠٤ ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م: ١٣/ ٢٤٧

[٣٠]تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٢.

[٣١] المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٢.

[٣٢] تفسير القرآن الحكيم ، تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي الشهير بـ تفسير المنار ، دار المنار ، تأليف السيد محمد رشيد رضا ، ط٣: ٨/ ٢٠٤.

[٣٣] المصدر نفسه.

[٣٤] تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٣

[٣٥] المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٧.

[٣٦] المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٧.

[٣٧] انوار التنزيل واسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي ، توفي سنة ٦٨٥ هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٨ م – ١٤٢٩ هـ : ١/ ٣٤٩.

[٣٨] تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٧.

[٣٩] انوار التنزيل واسرار التأويل ، البيضاوي: ١/ ٣٢٩.

[٤٠] تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٧.

[٤١] التفسير الكبير: ١٤ / ١١ .

(٤٢) تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٨.

(٤٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري: ٢/ ٥١.

(٤٤) تفسير ابن عرفة: ٢/ ٢٠٩.

(٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري: ٢/ ٥١.

(٤٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار الفكر – ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م : ٧/ ٢٥٣.

(٤٧) القرن : الأمة المقترنة في مدة من الزمان ومنه " **خير القرون قرني**" ، وأصله الارتفاع عن الشيء، ومنه قرن الجبل ، فسموا بذلك لارتفاع الشيء السن . وقيل : هو من قرنت الشيء بالشيء جعلته بجانبه أو مواجهاً له . الدر اللقيط في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجباني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ ، توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤ . وبهامشه تفسيران جليلان أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضاً . وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ ، توفي سنة ٧٤٩ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، ط١ ، سنة ١٣٢٨ هـ: ٤ / ٦٥.

(٤٨) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٨/ ٢٤٩– ٢٥٠.

(٤٩) تفسير ابن عرفة: ٢٠٩/٢؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، ٤٨١هـ – ٥٤١هـ ، طبعة جديدة منقحة ومرتبة ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م : ٦٨٢.

(٥٠) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢ / ١٤٨، المعجم الوسيط : ١ / ٣٢ .

(٥١) المعجم الوسيط : ١ /٣٢ .

(٥٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م : ١ / ١٠٣ .

(٥٣) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢ / ١٤٨.

(٥٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ،الراغب : ٩٩ .

(٥٥) المصدر نفسه ٩٩.

(٥٦) الكليات ، الكفوي : ٢١٧ .

[٥٧] السيرة النبوية لأبن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا ، إبراهيم الإيباري ، عبد الحفيظ شلبي ، مؤسسة علوم القرآن دمشق – بيروت ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة : ١ / ٥٧٥ .

[٥٨] مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب : ٧٩٥ .

[٥٩]كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي التهانوي ، توفي في القرن الثاني عشر الهجري ، حققه : الدكتور لطفي عبد البديع ، ترجم النصوص الفارسية : الدكتور عبد المنعم محمد حسين ، راجعه : الاستاذ أمين الخولي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مكتبة النهضة المصرية : ١ / ١٢٨ .

[٦٠] التفسير والمفسرون، الذهبي : ١ / ١٧ .

[٦١] المصدر نفسه : ١ / ١٧.

[٦٢] التفسير والمفسرون ، الذهبي : ١ / ١٧ – ١٨ .

[٦٣] مفهوم التأويل في مراحله وتطوراته التاريخية ، الشيخ الدكتور علي الحوّاني ، مجلة روافد فكرية ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، لسنة ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م : ١٣٩ .

[٦٤] تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٥٣ .

[٦٥] لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، المعروف بالخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، وبهامشه : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : ٢ / ١٤ .

[٦٦] مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي : ٢ / ١٤ .

[٦٧] تفسير المنار ، محمد رشيد رضا : ٧ / ٣٨٦ .

[٦٨] جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، توفي سنة ٣١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٩ : ٥ / ١٨٤ .

[٦٩] تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٦٤ .

[٧٠] التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجباني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ ، توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤ . وبهامشه تفسيران جليلان أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضاً . وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ

أبي حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ ، توفي سنة ٧٤٩ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، ط١ ، سنة ١٣٢٨ هـ : ٤ / ١٥٠ .

(٧١) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٦٤ .

(٧٢) المصدر نفسه : ٢ / ١٦٤.

(٧٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي : ٧ / ٩٢ – ٩٣ .

(٧٤) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٦٥ .

(٧٥) المصدر نفسه .

(٧٦) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب : ٣٠٢ .

(٧٧) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٦٥ .

(٧٨) المصدر نفسه : ٢ / ١٦٦ .

(٧٩) التفسير الكبير، الرازي : ١٣ / ٢٧ .

(٨٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنّه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ، الحديث / ١٢٦، ص٦٥.

(٨١) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٧٧ .

(٨٢) المصدر نفسه

(٨٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم : ١ / ٥٤٨ .

(٨٤) المصدر نفسه : ١ / ٧٨٨ .

(٨٥) تفسير ابن عرفة : ٢ / ١٧٧ .

(٨٦) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن : ٢ / ٤٠ .

(٨٧) تفسير ابن عرفة : ٢ / ٢٠٧ .

(٨٨) تفسير القرآن العظيم ، الأمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،(ت ٧٧٤هـ) ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، اعداد : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، طبعة جديدة منقحة ومصححة أعد فهارسها : رياض عبد الله عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ٢ / ٢٠٢ .

(٨٩) التفسير الكبير، الرازي : ١٤ / ١٢ ؛ ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري : ٢ / ٥٠ .

(٩٠) التفسير الكبير ، الرازي : ١٤ / ١٢ .

[٩١] تفسير ابن عرفة : ٢ / ٢٠٨ .

[٩٢] هكذا ورد في تفسير ابن عرفة ، ولم أجده في كتب الحديث ، وإنما جاء بلفظ : تعس عبد الدينار والدرهم ، ، ولفظ البخاري في كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ" **تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضيَ وإن لم يعطَ لم يرضَ**" ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، رقم الحديث ٢٨٨٦ : ٢٢٣.

[٩٣] تفسير ابن عرفة : ٢ / ٢٠٨ .

[٩٤] روح المعاني ، الآلوسي : ٨ / ٧١ .

المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم ، السيد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري ، توفي سنة ١٣٠٧هـ – ١٨٨٩م ، وضع حواشيه وفهارسه أحمد شمس الدين ، طبعة جديدة محققة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٢. اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، جمال الدين القاسمي الدمشقي ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤١هـ .
٣. انوار التنزيل واسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي ، توفي سنة ٦٨٥ هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٨ م – ١٤٢٩ هـ .
٤. البرهان في علوم القرآن ، الأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفصل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
٥. تفسير ابن عرفة ، تحقيق : جلال الاسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١
٦. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، ٥٤٤– ٦٠٤ ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٧. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجباني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ ، توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤ . وبهامشه تفسيران جليلان أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضاً . وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط

لتلميذ أبي حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ ، توفي سنة ٧٤٩ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، ط١ ، سنة ١٣٢٨ هـ .

٨. تفسير القرآن الحكيم ، تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي الشهير بتفسير المنار ، دار المنار ، تأليف السيد محمد رشيد رضا ، ط٣ .

٩. تفسير القرآن العظيم ، الأمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،(ت ٧٧٤هـ) ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، اعداد : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، طبعة جديدة منقحة ومصححة أعد فهارسها : رياض عبد الله عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

١٠. التفسير والمفسرون ،، د. محمد حسين *الذهبي* .ط ٢، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٩٦ هـ.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، توفي سنة ٣١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٩ .

١٢. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، عرّب عباراته الفارسية حسن هاني فحص ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

١٣. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، توفي سنة ١٢٧٠هـ ، المجلد الثالث ، ج٧ –٨ ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة ، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت .

١٤. السيرة النبوية لأبن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مؤسسة علوم القرآن دمشق – بيروت ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة .

١٥. صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنّه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ، الحديث / ١٢٦.

١٦. قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، الدكتور توفيق الطويل ، ط٢ ، ١٩٥٨م ، مكتبة مصر .

١٧. كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي التهانوي ، توفي في القرن الثاني عشر الهجري ، حققه : الدكتور لطفي عبد البديع ، ترجم النصوص الفارسية : الدكتور عبد المنعم محمد حسين ، راجعه : الاستاذ أمين

الخولي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مكتبة النهضة المصرية .

١٨. الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، ت ١٠٩٤هـ .، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، ط٢ ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وهو تفسير القرآن الكريم: الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، توفي سنة ٥٢٨هـ ، وبذيله كتابان جليلان : الأول : كتاب الانتصاف : الأمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي قاضي الأسكندرية ،توفي سنة ٦٨٣هـ، الثاني : حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي الشافعي ، ط١ ، سنة ١٣٥٤هـ ، مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية الكبرى .

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، المعروف بالخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، وبهامشه : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

٢١. لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الافريقي المصري " ت ٧١١ هـ " ، ط٣ ، دار صادر بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٢ م .

٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار الفكر – ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، ٤٨١هـ – ٥٤١هـ ، طبعة جديدة منقحة ومرتبة ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله ابن احمد بن محمود النسفي ، بهامش تفسير الخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م

٢٦. المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) ، قام بأخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، وأشرف على طبعه ، عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية ، طهران .

٢٧. مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٢٨. مفهوم التأويل في مراحله وتطوراته التاريخية ، الشيخ الدكتور علي الحوّاني ، مجلة روافد فكرية ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، لسنة ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .
٢٩. نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الدكتور السيد أحمد خليل ، ط١ ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م ، الوكالة الشرفية للثقافة بالإسكندرية .